زنابق وتسابيح

أنشودة الصباح ...

« إلهامات من سحر الحب وجمال
الطبيعة في ضفاف الجزيرة »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سبقتِ إلى النيل خطوَ الصباح	فتيمته بالصبا والفتونْ
وخمرُ الهنية في يديكِ	وكأسٌ من الحب ملأى جنون
وثغرُكِ تنريدةٌ ما وعى	ترانيمها غيرُ قلبي الحزينْ
عشقتُ صداها فغنيتها	ولقنتها لشفاهِ السنينْ
وما كنتُ أدري الهوى والحياهْ
ولا السحرَ في أغنيات الشفاهْ
ولا كنتُ أعلمُ سرَّ الإلهْ
سوى بعدما لحتِ لي فتنةً	وأقبلتِ لي مرةً تبسمينْ!

* * *

وعيناكِ علمتاني السجودَ	وكيفَ أخرُّ مع العابدينْ
لهم دينُهم في زحام الصلاةِ	وديني الضياءُ الذي تنشرينْ
عبدتُ بكِ الله ... مالي دمى	ولا في فمي غيرُ هذا الرنينْ
فيا ولهًا ناعسًا في الجفونْ	ويا سجدتانِ بدُرِّ الجبينْ
ويا قبلتانِ بخدِّ الصباحْ
ويا بسمتانِ بثغرِ الأقاحْ
طفقتُ بمن جنتي نارُ الجراحْ
تردَّى لبلواي سحرَ المنى	وبثِّي حديثَ الهوى باعيونْ!

* * *

وإيقاعُ صوتكِ فوقَ الضفافِ	أهازيجُ رفافةٌ بالحنينْ
سمعتُ لنا لحن تحتَ الظلالِ	أناجيلُ تتلى على الراهبينْ
وأنغامَ رقصٍ بعيدِ المدى	حلمتُ به في سماءِ الظنونْ
محا شجنَ الطيرِ إغرادُهُ	وتيَّمَ في صمتهن السكونْ
فهللن بين نخيلٍ وأيكِ
وهفهفن مثلَ حنانًا إليكِ
وركدن يقبلن طهرًا يديكِ
ويسجدن حولكِ فوقَ الربى	وتخشعُ للحبِّ هامُ الغصونْ!

* * *

وقلتِ: هنا النهرُ! قلتُ: اصمتي	هنا الله يرعى هوانا الأمينْ
هنا قدرٌ في الضحى نائمٌ	أساريرُهُ طلسمتها القرونْ
يسمونه «النيلَ»! وهو الذي	يُنيلُ ويثني صدى الظامئينْ
سقى الدهرَ من جامه فارتوى	وروَّى بخمرته الملهمينْ
فغنى بأسرارهِ الشاعرُ
وكبَّر في شطهِ الكافرُ
وخرَّ له السحرُ والساحرُ
ولما تهادتْ عليهِ الصبا	تصابى خفيًا خطا العاشقينْ!

* * *

أتيناهُ والصبحُ طفلٌ غريرٌ	تهدهدُهُ سكرةُ الحالمين
طهورُ المساربِ ما لوثتْ	خطا شطهِ قدمُ العابرينْ
سوى بائسينَ إلى قوتهم	تنادوا: سلامٌ على البائسين
أفاقوا مع الفجرِ فوقَ الثرى	حيارى على أرضهم متعبينْ
وصيادِ رزقٍ على الشاطئينْ
منَ اليأسِ قلَّبَ نارَ اليدينْ
وفي وجههِ من كلالٍ وأينْ
بقايا منَ الليلِ يمشي بها	إلى كوخهِ في شباب الأنينْ!

* * *

ونجوى غماميةٌ في الضفافِ	تحجبُ إلا عنِ الغرمينْ
فهمنا لغاتها وأسرارها	فهمنا بها في الضحى حائرين
وفي ظلنا للهوى رعشةٌ	وقفتِ على طينها تسألينْ
وصدرُكِ يهتزُّ تحتَ السنا	كأنشودةٍ في أكفِّ الحنينْ
شجاها التمني فهزتْ لنا
تحايا منَ الله طافتْ بنا
ونجوى منَ الله رفتْ هنا
وقالتْ: سلامُ الهوى والعفافِ	على قبلةٍ في فمِ الخائفينْ ...

(وزارة المعارف)	محمود حسن اسماعيل